النشـــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ١١ / ١٩٩٩
الأحد ١٤ آذار
الأحد الثالث من الصوم
(أحد الصليب الكريم)
تذكار أبينا البار بنديكتس

اللحن السابع
إنجيل السَحَر السابع

الـــرســـالـــة (عبرانيين ٤ : ١٤ – ١٦؛ ٥ : ١ ٦)
الإنـــجـــيـــل (مرقس ٨ : ٣٤ – ٣٨؛ ٩ : ١)

+ البار ألكسيوس رجل الله

تعيّد الكنيسة المقدسة في السابع عشر من آذار لتذكار البار ألكسيوس الذي أهمل كـــلَّ غنىً وشرف في هذا الكون ليكون رجل الله في تواضعه وفقره والتصاقه بالله.

ولُد ألكسيوس في أواخر القرن الرابع في روما مـــن والديـــن مـــن أشـــراف رومـــا وأغنيائها، كانا قد تقدّما بالسنّ ولم يرزقا ولداً، فتضرّعا إلى الله، كإبراهيم وسارة، بتوسّـــلات حارة، فأنعم عليهما الله بولد أسمياه ألكسيوس، ربّياه تربية مسيحية صالحـــة، وأنشـــآه علـــى الفضائل إضافة إلى تأمينهما له أفضل المعلّمين، والغنى.

نشأ ألكسيوس وميله نحو الإلهيات يكبر فيما كان أهله يسعون لتزويجه ورؤية أحفاد لهم، لكنه كان يتجنّب مخاطبة النساء وحضور الولائم، حتى أن والدته حاولت أن تدفع إحدى الشابات للإيقاع به. وبمقدار ما كانت هذه تحاول إغراءه كان يزداد صلابة.

بعد فترة وجيزة اختار له والده عروسا من نسل ملوكي، جميلة وذات تربية حسنة. وجد ألكسيوس نفسه في موقف طاعة لوالده، وبدأت التحضيرات للعرس. أُقيمت الولائم وحضرها الأغنياء والفقراء، إلا أن ألكسيوس كان ما زال في صراع بين ميله الإلهي وتلبية رغبة والديه، فشاهد في رؤيا إلهية، يوم زفافه في غرفة عرسه، صفين من جنود الأفكار يتصارعان: الصف الأول يمثّل فكر العفة وصليب الرب، الصف الثاني فكر الملذات والمرارة التي سوف تحصل لوالديه وعروسه. وفي النهاية انتصر فكر العفَّة فقرر ألكسيوس الرحيل وأودع عروسه خاتم الزواج قائلاً "ليكن تعالى فيما بيني وبينك". وخرج من باب خلفي للقصر وقصد الميناء وصعد إلى سفينة غريبة لم يعلم أحد وجهة سيرها.

وصلت السفينة إلى اللاذقية، نزل منها ألكسيوس وقصد مدينة الرها، واختار أن يجعل إقامته بين الفقراء الذين يجلسون في مدخل هذه الكنيسة ويتسوّلون، فيستطيع التضرّع إلى والدة الإله دون أن يلاحظه أحد. كان يقتات من صدقات المارين، وكان يوزّع منها على الآخرين، ويثابر على الصلوات الدائمة. وحدث أن مرّ خدام أبيه، الذين كانوا في زيارة لبلاد الشرق يفتشون عن ألكسيوس، بمدينة الرها وقصدوا الكنيسة التي كان يجلس أمامها ووضعوا في يده حسنة لكنهم لم يعرفوه فعادوا إلى بلادهم فارغين وشكر ألكسيوس الله.

لم يشأ الله أن تبقى فضائل ألكسيوس خافية عن الناس فسمع حارس تلك الكنيسة صوتاً أثناء الليل يقول له أن بين الفقراء الواقفين أمام الكنيسة من هو حقاً رجل الله "والروح القدس حالّ فيه". لم يعرف الحارس من هو هذا الرجل فتوسّل أن يعرف من هو فأتاه الصوت لاحقاً مبيّناً له من هو رجل الله، فعلم أنه ألكسيوس وأخذه إلى خاصته وحاول معرفة سرّه فلم يخبره ألكسيوس بشيء إلا بعد أن حصل على وعد بعدم البوح بشيء. سمح له الحارس بالدخول والخروج من الكنيسة ساعة يشاء. بعدها افتقده الله بمرض عضال أقعده مدة من الزمن وأوجب نقله إلى المستشفى إلى أن شفي بعد عذاب مضنٍ.

بعدما ترك أهله بقي سبع عشرة سنة يجاهد في التواضع والصمت والفقر والصلاة فذاع صيته وتقاطر الناس لرؤيته وطلب مشورته الروحية. وإذ كان في التواضع العميق أراد الهرب مجدداً فخرج من الرها قاصداً اللاذقية وطرسوس. إلا أن مقاصد الله كانت غير ذلك، إذ هبّت رياح قادت السفينة نحو روما.

ارتضى ألكسيوس بمشيئة الله وسار في شوارع روما كأحد الفقراء إلى أن وصل إلى منزل أبيه، فجلس هناك بين الفقراء يستعطي حتى أن والده مرّ به ولم يعرفه لأن هيئته قد تغيّرت بسبب التقشف والغربة. طلب من والده أن يسمح له أن يكون بين الفقراء الذين يحسن إليهم، وأن يسكن في المكان الأحقر تحت درج القصر. عاش هناك عدة سنوات في الفقر والصلوات الحارة دون ملل. وكثيراً ما كانت تمرّ بجانبه والدته وعروسه دون أن تعرفاه، وكانتا تطلبان منه أن يذكرهما في صلواته، وأن يصلّي من أجل عودة ألكسيوس. وكان هو يحثهما على الصبر والثقة بالله.

بعد فترة طويلة مرض ألكسيوس ولم يعد يستطيع الخروج من مأواه تحت الدرج، فقصدته عروسه لأنها كانت تجد تعزية روحية في كلامه وتعلم سمو فضائله وقداسته، وكادت أن تكشف أمره لولا استدعاء الخدام لها. اشتدّ عليه المرض زمناً طويلاً حتى تضجّر منه الخدام وصاروا يضطهدونه. وكان البار ألكسيوس يفرح باضطهادهم ويشكر الله على كل شيء إلى أن شفاه الرب. وهكذا بقي زمناً طويلاً يعيش تحت درج بيت أبيه. أخيراً جُرّب أن يكشف أمره لوالديه وعروسه لأنه اشتاق إليهم كثيراً. عاش الصراع في داخله، لكنه في النهاية توسل إلى الله أن يجعله يموت كما عاش حتى هذا الوقت. مرض مرضاً ثقيلاً ولما عرف قرب ساعته طلب من الخادم ورقة كتب عليها سيرته، وعند انتهاء الكتابة أسلم الروح.
في هذه الأثناء، فيما كان الشعب يصلي في كنيسة القديس بطرس في روما، سمع صوتاً من السماء يسألهم أن يفتشوا عن رجل الله لكي يصلي من أجل مدينة روما، وأنه موجود في ذلك القصر. فذهبوا ووجدوه ميتاً. أخذ الأسقف إينوكانذيوس الأوراق وقرأها علانية فعلم أبواه وعروسه أنه كان ألكسيوس المفقود.

دُفِن جسده الطاهر باحتفال مهيب وكانت تجري بواسطة جسده العجائب والشفاعات الكثيرة. وهكذا عاش البار ألكسيوس غريباً طيلة أيام حياته متشبّهاً "بربّه الغريب" إلى أن صار مواطناً للملكوت. فبشفاعاته اللهم ارحمنا وخلّصنا آمين.

+ مديح العذراء

إحدى أكثر الخدم الليتورجية شعبية خدمة مديح العذراء التي تقام مساء أيام الجمعة من الصوم الكبير. يعود هذا المديح الى أوائل القرن السابع عندما زحف الفرس من الشرق وحاصروا مدينة القسطنطينية، وكان ملكها هرقل غائبا، كما هاجمها الجيورجيون (الإيباريون) من الغرب، فامتلأ خليج القسطنطينية بسفن المهاجمين ولم يكن لدى أهل

القسطنطينية شيء يدافعون به عن مدينتهم سوى الإلتجاء الى رحمة الله بشفاعة العذراء مريم. وهكذا قاد البطريرك سرجيوس الشعب في زياح فوق أسوار المدينة، حاملين أيقونة المسيح وعود الصليب المقدس وثوب والدة الإله المكرّم.

أثناء الليل هبّت عاصفة على خليج فلاشرنس أمام كنيسة والدة الإله وحطمت سفن البرابرة المهاجمين. فلما رأى الشعب ما حصل تقاطروا الى كنيسة والدة الإله مقدّمين لها تسبحة الشكر هدية ، ورتلوا لها طوال الليل هذا المديح الذي نعرفه اليوم،لأنها سهرت على خلاصهم.

ينسب هذا المديح للبطريرك سرجيوس، ومنهم من يعتقد أن كاتبه هو جاورجيوس البيسيدي حافظ مكتبة (أوراق) كنيسة الحكمة الإلهية في القسطنطينية. وهذا المديح عبارة عن أربعة وعشرين محطة أو منظومة شعرية يبدأ كلٌّ منها بأحد الأحرف الأبجدية اليونانية بالتسلسل، وهذه المنظومات تتتالى طويلة فقصيرة. الطويلة تسمى " البيت" وتنتهي بـ"افرحي يا عروساً لا عروس لها "، أما القصيرة فتسمى " القنداق " وتنتهي بـ " هلليلويا ".

في كل من الأسابيع الأربعة الأولى تتلى ست محطات بالتتالي، وتُتلى جميعها في الأسبوع الخامس. أما ترنيمة " أني أنا عبدك (مدينتك) يا والدة الإله..." فيرجّح أن ناظمها هو القديس رومانوس المرنم (+ ٥٥٦) الذي كان شماساً في مدينة بيروت قبل ذهابه الى القسطنطينية. هذه الترنيمة هي قنداق عيد البشارة أيضاً الذي نرنّمه في خدمة العيد الحالية، وذلك لأن خدمة المديح، حسب رأي بعض المؤرخين، كانت تُقام ابتداءً من القرن الثامن ولغاية سنة ١٤٥٣ (تاريخ سقوط القسطنطينية)، يوم عيد البشارة. ولاحقاً نُقل المديح وصار جزءاً من التريودي. يذكر أن خدمة المديح تقام مع خدمة صلاة النوم الصغرى.

الأبيات الإثنا عشر الأولى تروي قصة البشارة والميلاد الى دخول المسيح الى الهيكل. والأبيات الإثنا عشر الأخيرة هي تأمّل في سرّ التجسد الإلهي والخلاص الحاصل لنا بمريم:

" لما أراد موفي ديون البشر أن يمنح نعمة بترك الديون القديمة، حضر بذاته الى الذين أبعدوا عن نعمته فمزق الصك المكتوب باليد فسمع من الكل هكذا هلليلويا".

نحن اليوم في رحلة الصوم نتهيأ للوصول الى سر الخلاص الحاصل لنا بموت المسيح وقيامته، سر التدبير الحاصل بابن الله المتجسد من مريم العذراء: افرحي يا بطن التجسد الإلهي... افرحي يا استعادة آدم الساقط... افرحي يا باب الخلاص... افرحي يا من أزالت دنس الخطيئة"، فلذلك نطلب شفاعة العذراء للوصول الى ميناء الخلاص: " افرحي يا

ميناء سبّاحي العمر الذين يؤثرون الخلاص"، فننجو من الأعداء غير المنظورين، الشياطين الذي يحاولون دوماً الإيقاع بنا. فيا أم المخلّص تشفّعي بنا نحن الخطأة، آمين.

+ تأمل

ذاك الذي تجسّد، صُلِب كسائر الناس ، ولكن لا بسبب خطاياه. إنه لم يُسَق للموت بسبب حبّه للمال، بما أنه كان يعلّم الفقر. ولم يُحكَم عليه بسبب شهوة رديئة، إذ هو الذي قال بوضوح: " من نظر الى امرأة فاشتهاها زنى بها في قلبه" (متى ٥:٢٨)، إنه لم يُحاكم لأنه جَرح أو ضرب أحداً إذ هو الذي أدار خدّه للذي كان يصفعه (متى ٢٦:٦٧)، ولا لأنه استخفّ بالشريعة إذ هو الذي أتى ليكمّلها (متى ٥:١٧)، ولا لأنه أهان نبياً إذ كان هو نفسه الذي بشّر به الأنبياء (يو ١:٤٥)، ولا لأنه حَرم أحداً من أجره إذ كان يشفي بلا أجر مجاناً، لم يصنع خطيئة لا بالقول ولا بالفعل ولا بالفكر": " إنه لم يصنع خطيئة ولم يعرف المكَر فوه، شُتِم ولم يردّ على الشتيمة بمثلها. تألم ولم يُهدّد أحداً " (١ بطرس ٢: ٢٢-٢٣). أقبل على الآلام طوعاً لا مرغماً. واذا جاءه الآن أيضاً من يزجره بقوله: " حاشَ لك يا رب من هذا المصير"، لأجابه من جديد: " سرّ خلفي يا شيطان" (متى ١٦: ٢-٢٣).

هل تريد أن تقتنع بأنه أقبل على الآلام طوعاً ؟ فأعلم بأن الآخرين يموتون مكرهين جاهلين مصيرهم. أما هو فقد أنبأ بآلامه: " وابن الإنسان يُسلم (في الفصح) ليُصلَب" (متى ٢٦:٢). هل تعرف لماذا لم يهرب محبُّ البشر من الموت ؟ لكي لا يهلك العالم كله في خطاياه. " إنّا لَصاعدون الى أورشليم، وسيُسلم ابن الإنسان... ليُصلَب " (متى٢٠: ١٨-١٩)، وأيضاً: " عزم على المضيَ الى أورشليم" (لو ٩: ٥١). هل تريد أن تعرف بوضوح أن مجد يسوع هو الصليب؟ فاسمع إذاً ما يقول يسوع نفسه وليس أنا: كان يهوذا قد خانه إذ كفر بنعمة رب البيت، بعد أن جلس الى مائدته وشرب كأس البَركة وأراد مقابل كأس الخلاص أن يسفك دماً زكياً: " الآكِلُ خبزّهُ قد داسه بالأقدام" (مز ٤٠:١٠)، لم تتلقَّ بعد يداه خبز البكرة حتى أسرع ليسلمه الى الموت، حباً بمال الخيانة. لقد اضطرّ أن يؤمن اذ هو سمع :" أنت قلت " (متى ٢٦: ٢٥) ، ومع ذلك خرج ليسلمه. عندئذ قال يسوع: " لقد أتت الساعة التي فيها يمجد ابن الإنسان " (يو ١٢: ٢٣). ترى كيف أنه كان يعرف أن الصليب كان مجده الخاص: إن كان أشعياء لم يخجل أن ينشر شطرين ، فلِمَ نخجل نحن من أن المسيح مات لأجل العالم ؟ الآن تمجّد ابن الإنسان " (يو ١٣: ٣١) هذا ليس معناه أنه لم يكن ممجَّداً من قبل، إذ هو كان ممجَّداً بالمجد الذي كان له عند الآب قبل أن يكون العالم (يو ١٧: ٥). بوصفه إلهاً هو ممجَّد منذ الأزل ، ولكنه يمجّد الآن بالإكليل الذي أحرز بصبره، أنه لم يترك الحياة قهراً، ولم يقبل

الموت مكرَهاً إنما طوعاً، إسمعه يقول : " لي القدرة على بذل حياتي، ولـــي القــدرة علــى إرتجاعها " (يو ١٠: ١٨) إني أسلم نفسي لأعدائي بإرادتي، وإلاّ لما تمّ ذلك. وعليه يتّضح أنه قَبِل الآلام طوعاً مسروراً بعمله، مبتسما لإكليل الشوك، مبتهجاً بخلاص البشرية ، غير خَجِـل من الصليب لأن به كان يخلّص العالم ، إذ هو لم يكن إنساناً عادياً يتألمّ، بــل إلــهاً متجســداً يجاهد جهاد الصبر.

القديس كيرلس الأورشليمي

(٣١٤ – ٣٨٧)